المسائل العقدية المتعلقة بحديث:

«من التمَس رِضا الله بسخطِ الناس؛ رضِي الله عنه، وأرْضى عنه الناس، ومن التَمس رِضا الناس بِسخَط الله، سخِط اللهُ عليه، وأسخَط عليه الناسَ».

رواه الترمذي وصححه الألباني

ردمك

المسائل العقدية المتعلقة بحديث:

«من التمَس رِضا الله بسخطِ الناس؛ رضِي الله عنه، وأرْضى عنه الناس، ومن التَمس رِضا الناس بِسخَط الله، سخِط اللهُ عليه، وأسخَط عليه الناسَ». رواه الترمذي وصححه الألباني

تأليف

فواز بن لوفان الظفيري

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، النبي الأمي الذي علم المتعلمين، وهدى الحائرين إلى طريق الله رب العالمين، صلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإِحسانٍ إلى يوم الدين... أما بعد:

رِضا الله هو أعلَى المطالِب وأعظمُها؛ بل هو غايةُ مطلَب سُكَّان الجِنان؛ قال الله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

فلا أحبَّ ولا أكرَمَ ولا أكبرَ من رِضوان الله؛ بل هو الأمنيةُ الجليلة التي من أجلِها بكَت عيونُ الخاشِعِين، وتقرَّحَت قلوبُ الصالِحِين، وانتفَضَت الأقدامُ في جوف الليل.

هذا الرِّضا جعلَه الله فوقَ الجنة، زيادةً على الجنَّة؛ فعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله تعالى يقول لأهل**

الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير كله في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا» متفق عليه.

طلبُ مرضاة الله عليها مدارُ حياة الأنبياء والصالِحين؛ فموسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يُسارِعُ إلى ما يُرضِي الله، فيقول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [طه: ٨٤].

وسُليمانُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يشكُرُ ربَّه بالعمل في رِضاه: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل: ١٩].

ونرَى هذا الأدبَ الرفيعَ من صاحبِ الأدب العظيم رسولِنا الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يتأدَّبُ في الألفاظ مع ربِّه وقتَ الحُزن ابتِغاءَ مرضاتِه، عندما مات ولدُه: «**تدمعُ العين، ويحزنُ القلبُ، ولا نقولُ إلا ما يرضَى ربُّنا، واللهِ يا إبراهيمُ إنا بك لمحزُونون**»[1]. رواه البخاري.

ولا يستوِيان طالب لرضى ربه تعالى وطالب لرضا غيره. لا يستوي

(١) رواه البخاري (١٣٠٣).

من طلبَ رِضوانَ الله ومن باءَ بسَخَطِه، لا يستويان في الحياة الدنيا والآخرة، فمن طلبَ رِضا الله يتَّبعُ أوامِرَه ويتجنَّبُ نواهِيَه، يسلُكُ سبيلَ الأبرار، يعملُ عملَ من يراه ربُّه ويُبصِرُه، فيُقبِلُ على طاعة ربِّه، ويُسخِّرُ في سبيلِه دُنياه، ويُعمِّرُ الأرضَ بإتقانٍ وإحسانٍ، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٦٢].

وهذا الحديث العظيم: «**من طلب رضا الله بسخط الناس**»، تأملته فوجدت فيه فوائد عظيمة وتوجيهات جليلة أحببت أن أذكر نفسي الضعيفة فيها وإخواني المسلمين.

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العلم خالصاً لوجهه الكريم صوابًا على سنة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والحمد لله رب العالمين.

المسائل العقدية
في حديث «من التمس رضا الله بسخط الناس»

وفي هذا الحديث العظيم الذي معنا، قصته عجيبة حدثت بين راوية الحديث الصديقة بنت الصديق أمنا عائشة بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعن أبيها، وبين خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج رسول الله تعالى ﷺ وأحب نساءه إليه؛ ففي «صحيح البخاري» عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: «**كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ علَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ علَى سَائِرِ الطَّعَامِ**»[1].

والنبي ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها، وكانت أفقه نساء الأمة على الإطلاق، فكان الأكابر من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين إذا أشكل عليهم الأمر في الدين استفتوها.

ومعاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أمير المؤمنين الصحابي الجليل

---

(١) البخاري (٣٤١١).

الذي دعا له رسول الله ﷺ فقال: «**اللهم اجعلْه هاديا مهديا، واهدِ به**»(١).

وعن عبدالرحمن بن أبي عميرة وكان من أصحاب النبي ﷺ عن النبي قال: «**اللهم علّم معاوية الحساب وقِهِ العذاب**»(٢).

وصحَّ أن الرسول ﷺ قال: «**أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا**»(٣).

وكان هذا الغزو بقيادة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويكفيه شرفًا وفضلاً أنه من أصحاب محمد ﷺ الذين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقال فيهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

وأوجب لهم جميعا الجنة فقال: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠]، وغيرها من الآيات.

---

(١) أحمد (١٧٨٩٥)، والترمذي (٣٨٤٢).

(٢) «السلسلة الصحيحة» (٣٢٢٧).

(٣) رواه البخاري (٢٩٢٤).

فرضي الله تعالى عن صحابة رسول الله تعالى وأرضاهم وأخزى من تنقصهم وآذاهم.

اللهم إنا نشهدك بحبهم حبًا جمًا حبًا من قلوبنا عقيدةً نتقرب بها إليك يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم.

وهذه القصة الجميلة العجيبة التي حدثت بين معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وبين أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وذلك أنه كتبَ معاويةُ بن أبي سفيان إلى عائشةَ:

«أنِ اكتبي لي كتابًا توصيني فيهِ ولا تُكثِري فَكتبت سلامٌ عليكَ أمَّا بعدُ فإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**منِ التمَسَ رِضا اللهِ بسخطِ النَّاسِ كفاهُ اللهُ مَؤونةَ النَّاسِ ومنِ التمسَ رضا النَّاسِ بسخطِ اللهِ وَكلَه اللهُ إلى النَّاسِ والسَّلامُ عليكَ**»[1].

وفي هذا منقبتان كريمتان في مسيرة الصحابة الراشدين المقسطين رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

الأولى: فهي تعهدهم للولاية والعمال بالرعاية والمراقبة وتوصيتهم كلما حانت فرصة بالعدل والإحسان وتقوى الله تعالى في السر والعلن.

---

(١) رواه الترمذي (١٤٢٤)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

فهذا الصديق أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خليفة رسول الله ﷺ يقول: «لا والله ما يُصلح أمر الناس التجارة، وما يصلح لهم إلا التفرغ والنظر في شأنهم، وما بُدٌّ لعيالي مما يصلحهم، فترك التجارة واستنفق من مال المسلمين ما يصلحه ويصلح عياله يوما بيوم، ويحج ويعتمر، وكان الذي فرضوا له كل سنة ستة آلاف درهم لكن الظاهر أنه لم يقبل ذلك لأن المشهور أنه كان ينفق درهمين كل يوم».

فلما حضرته الوفاة قال: ردوا ما عندنا من مال المسلمين، فإني لا أصيب من هذا المال شيئًا، وإنَّ أرضي التي بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم، فدُفِع ذلك إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولَقُوح -أي ناقة صغيرة-، وعبد صَيقل -أي يصقل السيوف ويحدُّها-، وقطيفة ما تساوي خمسة دراهم، فقال عمر: لقد أتعب من بعده[1].

وهذه رسالة من الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه إلى عامله أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله عمر أمير المؤمنين، إلى عبدالله بن قيس -أبي موسى الأشعري-،

(١) «طبقات ابن سعد» (٣/ ١٨٥ - ١٨٧).

سلام عليك، أمَّا بَعْدُ، فإنَّ القضاء فريضة محكمة وسُنَّة مُتَّبَعة، فافهم إذا أُدْلِيَ إليك، فإنَّه لا ينفع تكلُّم بحقٍّ لا نَفَاذَ له، آسِ بين الناس في مجلسك ووجهك وعدلك؛ حتى لا يطمع شريف في حَيْفِك، ولا يخاف ضعيف جَوْرَك، البيِّنَة على مَنِ ادَّعى، واليمين على من أنكر، الصلح جائز بين المسلمين إلاَّ صلحًا أحلَّ حرامًا أو حرَّم حلالاً، لا يمنعك قضاءٌ قضيتَه بالأمس راجعتَ فيه نفسك وهُدِيتَ فيه لرشدك أنْ تُرَاجع الحقَّ، فإنَّ الحقَّ قديم، وإنَّ الحقَّ لا يبطله شيء، ومراجعة الحقِّ خير من التمادي في الباطل»[(١)].

وكان أوَّل كتاب كتبه عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه إلى عمَّاله: «أمَّا بَعْدُ، فإنَّ الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة، ولم يتقدَّم إليهم أن يكونوا جُبَاة، وإنَّ صدر هذه الأُمَّة خُلِقُوا رُعَاة، ولم يُخْلَقُوا جُبَاة، ولَيُوشِكَنَّ أئمتكم أنْ يصيروا جُبَاة ولا يكونوا رعاة، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء، أَلاَ وإنَّ أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين وفيما عليهم، فتعطوهم مالهم وتأخذوهم بما عليهم، ثم

(١) البيهقي: «السنن الكبرى» (١٠/ ١٥٠)، «سنن الدارقطني» (١٦)، وانظر الباقلاني: «إعجاز القرآن» (١/ ١٤٠)

تُثَنُّوا بالذِّمَّة فتعطوهم الذي لهم وتأخذوهم بالذي عليهم، ثم العدوَّ الذي تنتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء»[(١)].

والمنقبة الثانية: استماعهم لنصح الناصحين من أولي المكانة في العلم والدين. بل تقبلهم لهذا النصح وارتياحهم له، وهم يعلمون أن الدين النصيحة، وأن أكفأ من يؤديها على وجهها هم أئمة الفضل وأعلام الهدى، الذين يصدعون بالحق ولا يخافون في الله تعالى لومة لائم.

وهذه الوصية العظيمة الموجزة الجامعة التي اقتبستها أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها من مشكاة النبوة من وصايا إمام الهدى والتقى إمام الأولين والآخرين نبينا وحبيبنا محمد بن عبدالله ﷺ حيث قال ﷺ: «**منِ التمَسَ رِضا اللهِ بسخطِ النَّاسِ كفاهُ اللهُ مَؤونةَ النَّاسِ ومنِ التمسَ رضا النَّاسِ بسخطِ اللهِ وَكلَه اللهُ إلى النَّاسِ والسَّلامُ عليكَ**».

يقول ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني من ضعف الإيمان أن يرضي الناس بسخط الله، يعني يفعل المعصية لإرضائهم أو يترك الواجب لإرضائهم، هذا من ضعف الإيمان، الواجب أن يتقي الله وأن يؤدي ما أوجب الله

(١) «تاريخ الأمم والملوك» للطبري (٣/ ٣٠٦).

ويحذر ما حرم الله وأن لا يجامل الناس في ذلك فيرضيهم مثلاً بعدم إنكار المنكر على من يشرب الخمر وهو يقدر، أو عدم إنكار المنكر على من يعق والديه لأجل إرضائه أو ما أشبه ذلك لا، يجب إنكار المنكر وأن لا يرضي الناس بسخط الله. كذلك كونه يرضي زيدًا أو عمرًا بالمعصية لأن أباه أو أخاه يحب منه أن يدخن، أو يحب منه أن يشرب الخمر معه، لا يرضي الناس بسخط الله يجب الحذر من ذلك.

من التمس رضا الله بسخط الناس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس فالمؤمن إذا التمس رضا الله واجتهد في طاعته الله، الله يكفيه مؤونة الناس ويكفيه شرهم ويرضي عنه الناس؛ لأنه قدم حق الله جَلَّ وَعَلَا؛ فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعامله بالخير ويرضي عنه الناس، ويكف شرهم عنه، كما في اللفظ الآخر: من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، فليلتمس رضا الله وليجتهد في طاعة الله وإن سخط الناس والله يكفيه مؤونتهم يسأله أن يكفيه شرهم، يسأله أن يعافيه من شرهم، وهو سبحانه الجواد الكريم جَلَّ وَعَلَا، وليحذر أن يلتمس رضا الناس بسخط الله، يحذر المؤمن أن يرضي الناس

بسخط الله، يرضي أباه بالمعصية يرضي أخاه بالمعصية يرضي الأمير بالمعصية لا يجوز، الواجب أن تبين له أن هذا لا يجوز لك، وأن تطلب من أبيك إذا طلب منك ما يسخط الله تقول له: لا يا والدي هذا ما يجوز، أبوك يقول لك: احلق لحيتك، تقول: يا أبي هذا ما يجوز، الرسول ﷺ نهانا عن هذا، يقول لك: اشرب الخمر، تقول له لا يا والدي إنما الطاعة في المعروف ما أطيعك في المعصية، وهكذا لا تطع أباك ولا غير أباك في المعصية. وفق الله الجميع»[1].

ومن المسائل العقدية المتعلقة بهذا الحديث:

المسألة الأولى: إثبات صفة الرضا والسخط لله عَزَّوَجَلَّ.

١ - إثبات صفة السخط لله عَزَّوَجَلَّ.

السخط: صفةٌ من صفات الله الفعليَّة الخبريَّة الثابتة بالكتاب والسنة.

الدليل من الكتاب:

١ - قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٨٠].

---

(١) مجموع الفتاوى -شرح كتاب التوحيد- باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾.

٢- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ [محمد: ٢٨].

الدليل من السنة:

١- حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك وسعديك... -إلى أن قال فيه- فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني؛ فلا أسخط عليكم بعده أبداً**»[(١)].

٢- حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لا تقولوا للمنافق سيد، فإن يك سيداً؛ فقد أسخطتم ربكم عَزَّوَجَلَّ**»[(٢)].

قال أبو إسماعيل الصابوني: «وكذلك يقولون في جميع الصفات -يعني: الإثبات- التي نزل بها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين... والرضا والسخط...»[(٣)].

وقال الشيخ محمد خليل الهرَّاس تعليقاً على بعض الآيات التي أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في العقيدة الواسطية لبعض

---

(١) رواه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

(٢) رواه أحمد (٢٢٩٣٩)، وأبو داود (٤٩٧٧)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص٥).

صفات الله عَزَّوَجَلَّ الفعلية: «تضمنت هذه الآيات إثبات بعض صفات الفعل؛ من الرضا لله، والغضب، واللعن، والكره، والسخط، والمقت، والأسف، وهي عند أهل الحق صفات حقيقية لله عَزَّوَجَلَّ، على ما يليق به، ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك، ولا يلزم منها ما يلزم في المخلوق»[(١)].

٢- إثبات صفة الرضا لله عَزَّوَجَلَّ.

الرضا: صفةٌ من صفات الله عَزَّوَجَلَّ الفعليَّة الخبريَّة الثابتة بالكتاب والسنة.

الدليل من الكتاب:

١- قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

٢- وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

الدليل من السنة:

١- حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك...**»[(٢)].

---

(١) «شرح الواسطية» (ص٨).

(٢) رواه مسلم (٤٨٦).

٢- حديث: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا...**»[(١)].

قال أبو إسماعيل الصابوني: «وكذلك يقولون -أي: الإثبات- في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح؛ من: السمع، والبصر، والعين... والرضا، والسخط، والحياة...»[(٢)].

قال الشيخ الدكتور سليمان الرحيلي -حفظه الله تعالى-: «والرضا صفته، وليس رضا الله أمرًا خارجًا منفصلًا، وليس رضا الله إرادة الثواب كما يقول بعض الـمُؤَوّلة، وليس رضا الله هو الثواب نفسه، كما يقول بعض الـمُؤَوّلة، بل رضا الله عَزَّوَجَلَّ صفته.

وربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾، وهذا جزء من الآية الكريمة التي قال الله عَزَّوَجَلَّ فيها: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة: ١١٩]، فأهل الجنة من أعظم نعيمهم نيل الرضا، أنهم يَرْضَوْن عن ربهم، الذي هداهم في الدنيا صراطَه المستقيم، ولولا الله ما اهتدوا، كم من رجل أو امرأة يسمع القرآن

---

(١) رواه مسلم (١٧١٥).

(٢) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص٥).

ولكنه من المشركين! ولكن الله اصطفى من شاء من عباده فهداهم إلى صراطه المستقيم.

والله لولا الله ما صلينا، والله لولا الله ما صمنا، والله لولا الله ما قعدنا هذا المجلس نتعلم في مسجد رسول الله ﷺ، فهم يرضون عن ربهم وهم في جنته حيث هداهم في الدنيا صراطه المستقيم، وأدخلهم بفضله ورحمته الجنة، فإنه لن يدخل أحدٌ الجنة بعمله، وإنما الجنة تُدْخَل بفضل الله، والعملُ سببٌ لنيل فضل الله، فهم يرضون عن ربهم، ويتنعّمون برضا الله عنهم وهذا أفضل لهم من جميع النعيم. يقول النبي ﷺ: «**إنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقولُ لأهْلِ الجَنَّةِ: يا أهْلَ الجَنَّةِ؟ فيَقولونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنا وسَعْدَيْكَ، فيَقولُ: هلْ رَضِيتُمْ؟ فيَقولونَ: وما لنا لا نَرْضَى وقدْ أعْطَيْتَنا ما لَمْ تُعْطِ أحَدًا مِن خَلْقِكَ، فيَقولُ: أنا أُعْطِيكُمْ أفْضَلَ مِن ذلكَ، قالوا: يا رَبِّ، وأَيُّ شيءٍ أفْضَلُ مِن ذلكَ؟ فيَقولُ: أُحِلُّ علَيْكُم رِضْوانِي، فلا أسْخَطُ علَيْكُم بَعْدَهُ أبَدًا**»[1] متفق عليه.

فيتنعّمون برضا الله عَزَّوَجَلَّ عليهم، ورضوان الله عليهم في الجنة أكبر من كل نعيم، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢].

---

(١) البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

وهذا الحديث يا أفاضل فيه رد على المُؤَوّلة الذين يقولون: إن رضا الله هو إرادة الثواب، يقولون: الله لا يرضى حقيقة، لكن رضوان الله أو رضا الله معناه إرادة الثواب، فإنا نقول: إن الله أراد ثواب أهل الجنة قبل أن يقول لهم هذا القول: «**أُحل عليكم رضواني**»، ورد على الذين يقولون إن رضا الله هو ثواب الله، قلنا: نعيم الجنة هو من ثواب الله، ومع ذلك جعل الله عَزَّوَجَلَّ رضوانه أفضل من ذلك، فهذا يدل على أن ربنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يرضى حقيقةً[(١)]. انتهى.

المسألة الثانية: الإيمان واليقين يَضُعف ويقوى، يقوى بالإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ بطاعة الله ويضُعف بمعصية الله ومخالفة أوامر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حتى ربما لا يبقى منه شيء.

اليقين في اللغة: هو العلم الذي لا شك معه[(٢)].

تعريف اليقين في الاصطلاح:

نقَل ابن قيِّم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن الخاصَّة مِنْ أهل العِلم في «المدارج»[(٣)].

---

(١) من الدرس الثالث عشر لـ«شرح العقيدة الواسطية»، ٢٨/ رجب/ ١٤٣٩هـ.

(٢) «معجم المعاني».

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ١٢٥)، مكتبة الصفا، القاهرة، ط: ٢٠٠٤م.

قول الجُنَيْد: اليقين هو استقرارُ العِلْم الذي لا يَنقلِب ولا يُحوَّل ولا يتغيَّر في القلْب.

وقول ذي النون: اليقين هو النَّظرُ إلى الله في كلِّ شيء، والرُّجوع إليه في كلِّ أمْر، والاستعانة به في كلِّ حال.

وأورد الجرجانيُّ في التعريفات أنَّ اليقين هو:

«طُمأنينة القَلْب، على حقيقة الشيءِ وتحقيق التصديق بالغَيْب، بإزالة كلِّ شكٍّ ورَيْب»(١).

واليقين بالله عَزَّوَجَلَّ هو الاعتقاد الجازم بوجوده اعتقاداً لا يخالطه أقل شك، ولا يتطرق إليه أدنى وهم، فهو اعتقاد راسخ رسوخ الجبال الشاهقات.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اليقين من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون، وهو مع المحبة ركنان للإيمان، وعليهما ينبني وبهما قوامه، وهما يُمدان سائر الأعمال القلبية والبدنية، وعنهما تصدر، وبضعفهما يكون ضعف الأعمال، وبقوتهما تقوى الأعمال، وجميع منازل

(١) «التعريفات»، باب الياء «اليقين» (١/ ٨٥).

السائرين إنما تُفتتح بالمحبة واليقين، وهما يثمران كل عمل صالح، وعلم نافع، وهدى مستقيم»[(١)]. انتهى.

وصفات أهل اليقين كثيرة، وينتظم في صفاتهم جميع الصفات المؤدية إلى رضى الرحمن، ولكن نذكر منها على سبيل المثال:

١- هوان مصائب الدنيا عليهم: ولقد كان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصائب الدُّنْيَا، اللهم أمتعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلاَ تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لاَ يَرْحَمُنَا**»[(٢)].

وهو أن المصيبة، والتحلي بالصبر تجاهها: يتفاوت على حسب تفاوت اليقين في القلوب، فأعظم الناس صبرًا، هو أعظمهم يقينًا، وكلما ترقى العبد في مراتب اليقين؛ ترقى في مراتب الصبر، كما قال

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٩٧).

(٢) أَخْرَجَهُ الترمذي (٣٥٠٢)، و«النَّسَائي» في «عمل اليوم والليلة» (٤٠٢) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾ [الروم: ٦٠].

٢- راحة النفس وطمأنينة القلب فيما يفوت من حظوظ الدنيا، ثقة بموعود الله، ورجاء العوض والخلف منه سبحانه.

٣- قوة توكلهم على الله واستشعار معيته لهم: قال ﷺ لصاحبه في الغار أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد أحدقت بهم الأخطار «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا**».

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠﴾ [التوبة: ٤٠].

وقال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢﴾ [الشعراء: ٦١- ٦٢].

٤- كثرة إنفاقهم في سبيل الله ليقينهم التام بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وأن الرزق ليس بيد أحد من البشر وإنما هو بيد الله تعالى وحده، قال سبحانه: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي

﴿ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: ٢٠- ٢٣].

٥- من سيماهم الخشوع والاستقامة:

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما أيقن عبد بالجنة حق يقينها، إلا خشع ووجل وذل واستقام واقتصر حتى يأتيه الموت»[(١)].

٦- من سيماهم: زهدهم في الدنيا وقصر أملهم فيها: فلا تتعلق نفس الموقن بها، ولا يتشبث بُحطامها، وإنما يكون زاهداً فيها؛ لأنه يعلم أنها ليست موطنًا له، ولأنه يعلم أنها دار ابتلاء، وأنه فيها كالمسافر يحتاج إلى مثل زاد الراكب، ثم بعد ذلك يجتاز ويعبر إلى دار المقام، فهو بحاجة إلى أن يشمر إليها، وأن يعمل لها.

٧- من سيماهم عظيم انتفاعهم بآيات الله الكونية والشرعية، كما قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الذاريات: ٢٠] وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ إلى غير ذلك من أعمال البر والإحسان التي يزداد منها المؤمن بقدر يقينه.

وقسّم ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مدارج السالكين» (٣/ ٤٠٣) اليقين إلى ثلاثة مراتب؛ قال:

---

(١) «اليقين» لابن أبي الدنيا (ص٩٧).

«الأول: علم اليقين.

والثاني: عين اليقين.

والثالث: حق اليقين.

فعلمنا الآن بالجنة والنار: علم يقين.

فإذا أزلفت الجنة في الموقف للمتقين وشاهدها الخلائق وبرزت الجحيم للغاوين وعاينها الخلائق فذلك: عين اليقين.

فإذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار: فذلك حينئذ حق اليقين». انتهى.

لذلك كان أكثر ما يحرص عليه المؤمن أن يبحث عن الوسائل التي تقوي يقينه بربه، وتملأ قلبه إيمانًا به وتصديقًا.

الإيمان: وتعريف الإيمان لغةً:

١ - ذهب كثيرٌ من أهل العلم إلى أنَّ الإيمان في اللغة هو التصديق؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [يوسف: ١٧]؛ أي: بمُصدِّق، فصدَّقت وآمَنت معناهما عندهم واحدٌ، فهو التصديق مطلقًا.

٢- وذهب آخَرون إلى أنَّ الإيمان في اللغة هو الإقرار -أي: الاعتراف- بالشيء عن تصديقٍ به، بدليل التفريق بين قول القائل: «آمَنت بكذا»؛ أي: أقررتُ به، و«صدَّقتُ فلانًا»، ولا تقل: «آمنت فلانًا».

تعريف الإيمان شرعًا:

بِناءً على ما سبَق فالإيمان في اللغة يتضمَّن معنًى زائدًا على مجرَّد التصديق، وهو الإقرار والاعتراف بالشيءِ، المستلزِم لقبول الخبر والإذعان لحكمه، فهو يتضمَّن التصديق والاستعداد للانقِياد قولاً وعملاً وحالاً، والانقياد الاختياري لأدائه، فهو أمرٌ عِلمي اعتقادي يترتَّب عليه عملُ القلب وقولُ اللسان وعملُ الجوارح، فإنَّ مَن كذَّب الخبرَ أنكره قلبًا، وردَّه قولاً، وترك العملَ بمُقتضاه فعلاً، ومَن صدَّق الخبرَ اطمأنَّ إليه قلبًا، وشهد به قولاً، وحقَّق العمل بمُقتضاه فعلاً أو تركًا.

فمعنى الإيمان شرعًا -وهو ما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف الصالح من الأمَّة- أنَّه: قولٌ باللسان، واعتقادٌ وعمل بالجَنان -أي: القلب- وعملٌ بالجوارح، يزيدُ بالطاعة وينقُص بالعِصيان؛ قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾ [مريم: ٧٦][1].

---

(١) تعريف الإيمان لغةً وشرعًا لفضيلة الشيخ عبدالله بن صالح القصير. موقع الشيخ.

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ [المدثر: ٣١].

زيادة الإيمان ونقصانه:

والإيمان ينقص ويزيد، يزيد بطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ وينقص بمعصية الله تعالى ورسوله ﷺ.

والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسُّنة وآثار السلف كثيرة جدًّا:

فمنها: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ﴾ [مريم: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ﴾ [المدثر: ٣١].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ﴾ [الفتح: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ

إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾

[التوبة: ١٢٤- ١٢٥].

الأدلة من السنة: جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينهب نُهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها بأبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن**»[(١)]، متفق عليه.

فنفى عنه كمال الإيمان الواجب بفعل هذه الكبائر مما دل على نقص الإيمان بفعلها وهكذا كل ما ورد من نفي كمال الإيمان الواجب أو المستحب تدل على زيادته ومن ثمَّ نقصانه وقوله ﷺ لوفد عبد القيس وهو: «**آمركم بالإيمان بالله وحده**»، وقال ﷺ: «**هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تعطوا من الغنائم الخمس...**»[(٢)]

---

(١) البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧).

(٢) البخاري (٤٣٦٨)، ومسلم (١٧).

متفق عليه. ففي هذا الحديث فسر الرسول ﷺ للوفد الإيمان هنا بالاعتقاد وبقول اللسان وأعمال الجوارح ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيمانـًا بالله بدون إيمان القلب.

ومن الأدلة حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وفيه «**فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»(١).

وما رواه أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان**»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال ﷺ: «**الإيمان بضعٌ وستون شُعبةً**»(٣)، وفي ذلك تنبيهٌ على أنَّه يزيدُ باستِكمالها وينقص بنَقصها، وقال ﷺ: «**ما رأيتُ من ناقصات عقل ودينٍ أذْهبَ لِلُبِّ الرَّجلِ الحازِمِ من إحداكنَّ**»(٤).

---

(١) رواه مسلم (٥٠).

(٢) رواه مسلم (٤٩).

(٣) رواه البخاري (٩).

(٤) البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩، ٨٠).

وقال بعض السلف: «ليس الإيمان بالتمنِّي ولا بالتحلي، ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال»، وأجمع السَّلَف الصالح على ما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة من زيادة الإيمان ونقصه.

ومن حِكمة الشعر قول القائل:

إِيمَانُنَا عَقْدٌ وَقَوْلٌ وَعَمَلْ يَزِيدُهُ البِرُّ وَيَنْقُصْهُ الزَّلَلْ

فدل ما سبق على أن الإيمان لا يزال يضعف بتخلف تلك المراتب وهو النقصان وتحصيلها هو زيادته والأدلة في ذلك كثيرة.

المسألةُ الثالثة: أن من أخلص لله تعالى في عبادة الخوف وترك الخوف من المخلوقين فإن الله تعالى يحوطه بحمايته ويحفظه من الشروروالآفات ويؤمنه مما يكره.

قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان -حفظه الله تعالى-: إن إخلاص الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ وترك الخوف من المخلوقين، الخوف الذي يؤثر في العقيدة، فإذا ترك ذلك -أي الخوف من المخلوقين- فإن الله يحميه ويحفظه مما يخاف، ويؤمنه مما يكره، لأنه لجأ إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ونعم الملجأ.

أمَّا إذا كان الأمر بالعكس، أنه يخاف من الناس ويقدَّم رضا الناس على رضا الله فإن اللهُ يعكس عليه الأمر كما سبق. واليقينُ يزيد

وينقُص؛ كالإيمانِ يزيد وينقُص. وأن من قدم رضا الله تعالى له ثوابٌ من الله تعالى جزاءَ امتثاله لأمر الله تعالى:

فمَنْ قدَّمَ رِضا اللهِ على رِضا الناس: أنَّ ثوابَهُ أنَّ اللهَ يرضى عنه، وإذا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَعِدَ في الدنيا والآخرةِ سعادةً لا يشقى بعدها أبدًا، وأرْضَى عنهُ الناسَ أيضًا، لأن قلوب العِبادِ بيَدِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أيضـًا ذِكْرُ عَذَابِ مَنْ تَرَكَهُ. من قدم رضا المخلوقين على رضا الله تعالى استحق العذاب والسخط من الله تعالى، ويُسْخِطُ عليه الناس، فيجتمعُ عليه السَّخَطان: سَخَطُ اللهِ، وسَخَطُ الناسِ أيضًا، وهذا يدُلُّ على أنَّ القلوب بيَدِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[1].

المسألة الرابعة: أنواع الخوف.

الخوف ينقسم إلى ثلاثة أقسام خوف عبادة وهو قسمين وخوف طبيعي.

خوفُ العِبادة وهو من أعظم أنواع التوحيد الذي هو الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ ولا يخاف الإنسان من غير الله، وله مقام عظيم؛ وللعبادة أنواع كثيرة، منها: الخوف والرجاء والتوكل على الله؛ هذه الأعمال القلبية، من أعمال القلوب، قال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٥٠].

---

(١) كتاب «إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد» بتصرف يسير.

لأن الله في العلو، وهذه الآية من أدلة علو الله على خلقه: علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر، ثلاثة أنواع للعلو كلها ثابتة لله.

وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦]. أي مقامه بين يدي ربه ولقاءه بربه، من خاف ذلك واستعد له بالأعمال الصالحة وترك الأعمال السيئة له جنتان، ليست جنة واحدة، وهذا وعد عظيم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لمن خافه وتقاه.

وقال الله تعالى: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٨]، والخشية هي الخوف أو نوع من الخوف؛ وهذه الآية فيها تعظيم الخوف من الله.

وقال تعالى: ﴿فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [النحل: ٥١].

أي: فخافوني؛ لأن الرهبة هي الخوف، وقدمت ﴿فَإِيَّـٰىَ﴾ على الفعل دلالة على الإخلاص، أي: لا تخافوا غيري! وهذه رهبة عبادة.

وهو قسمين:

الأول: خوف السر، وهو خوف العبادة، وهذا لا يجوز أن يشرك فيه مع الله غيره، وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أو يصيبه بما يكره، كما قال تعالى عن قوم هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إنهم قالوا له:

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥﴾ [هود: ٥٤- ٥٥]، المشركون يخافون من غير الله -خوف عبادة- من أصنامهم ولذاك عبدوه، وقال تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٣٦].

قوم هود لما بين لهم ما هم عليه من الشرك في عبادة الأصنام وأمرهم بعبادة الله هددوه بآلهتهم؛ وهذا موجود عند المشركين اليوم من القبوريين وغيرهم يخوفون بالموتى وأصحاب القبور، كما قالت قوم هود لنبيهم: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هود: ٥٤- ٥٦]، فقابلهم بهذا الجواب الباهر العظيم، تبرأ منهم وآلهتهم وقال: لا أخاف منكم، اجتمعوا وآلهتكم، فكيدوني جميعًا، وهو تحدي من رجل واحد يقف أمام دولة عظيمة كبار الأجسام، هذا دليل على أنه رسول من عند الله، هذه معجزة، وقالوا: يا هود ما جئتنا بالبينة؛ وما أعظم من هذه البينة؟! وهو لا يصلون إليه؛ والنتيجة: أن الله أرسل عليهم الريح، ألطف شيء، على قوم غلاظ

الأجسام حتى ماتوا جميعًا وصاروا كأعجاز نخل منقعر، نزعهم من الأرض في الجو، ثم تنكسهم على رؤوسهم، يدق برؤوسهم الأرض حتى ماتوا، هذا بأس الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

«وهذا هو الواقع من عباد القبور ونحوها من الأوثان يخافونها، ويخوفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها وأمروا بإخلاص العبادة لله، وهذا ينافي التوحيد» هم يخوفون المسلمين بأوثانهم وهم لا يخافون الله، هذا من العجيب، وانتكاس الفطر؛ هل الأوثان أعظم من الله؟! لا أعظم من الله فهم فسدت عقولهم؛ الأحياء يهددوا بالموتى؟ هذا شيء عجيب! يهدد الحي بالميت؟! ومن خاف الميت ويعتقد أنه يضره ويصيبه هذا ينافي التوحيد، هذ موجود عند عباد القبور؛ قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الأنعام: ٨١].

الثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه، خوفا من بعض الناس «الثاني من أنواع الخوف المحرم: أن يترك الإنسان شيئًا من الطاعة خوفًا من الناس أن يصيبوه أو أن يقتلوه، يترك عبادة الله خوفًا من الناس؛ فهذا محرم، وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد».

هذا النوع محرم ومنقص للتوحيد. وهذا هو سبب نزول هذه الآية. كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥].

بعد أن رجعوا من غزوة أحد، يخوفكم بأوليائه من المشركين ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥]. فما زادهم إلا إيمانا وقوة وتوكلا بالله.

وفي الحديث: «**إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: ما منعك إذ رأيت المنكر أن لا تغيره؟ فيقول: رب خشية الناس. فيقول: إياي كنت أحق أن تخشى**». هذا سيحصل يوم القيامة لمن خاف الناس بما يسخط الله، وترك ما أوجب الله عليه خوفا من الناس، رأى المنكر ولم يغيره وعنده قدرة على إنكار المنكر؛ فمن رأى منكراً وهو يقدر على تغييره باليد، فيغيره باليد إذا كان له سلطة وقدرة؛ فإن يكن له قدرة وسلطة ينكره بلسانه ويبين بطلانه ويحذر منه، ويدعو الناس إلى توحيد الله وعبادته؛ فأن لم يستطع باللسان فبقلبه ويكرهه، ويبتعد عنه وأهله؛ قال رسول الله ﷺ والخطاب للمسلمين: «**من رأى منكراً**

فليغيره بيده»، هذا لأصحاب اليد والسلطة، «**فإن لم يستطع فبلسانه**» بالموعظة والتذكير والدعوة إلى الله، «**وإن لم يستطع فبقلبه**»، ويعتزل مكان المنكر وأهله، ولا يخالطهم ويقول: أنكر بقلبه.. لا. يبتعد عن المنكر وأهله.

الثالث: الخوف الطبيعي؛ وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك. فهذا لا يذم، كما قال تعالى في قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١]. هذا خوف طبيعي لا يؤاخذ عليه الإنسان، ويتخذ ما يتقيه منه من السلاح وأسباب الوقاية. كما في قصة موسى لما استغاثه رجل من قومه على قبطي، وضربه موسى وندم، وخرج إلى مدين خائفا من فرعون وقومه[1].

المسألة الخامسة: أن الخوف من الله تعالى سبب لرضا الرب عَزَّوَجَلَّ، وحصول الثواب وتفريج الكرب.

ينصره فما أعظمها من عبادة جليلة، ومن الأمثلة:

مِنَ السبعةِ الّذين يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّهِ يوم لا ظِلَّ إلّا ظِلّه: رَجُلٌ دَعَتْهُ امرأةٌ ذات منصِبٍ وجمالٍ؛ دَعتهُ إلى نفسِها، دَعَتهُ للزنا بها -والعياذُ

(١) «شرح فتح المجيد» للعلامة صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله تعالى.

بالله-، ذات منصبٍ وذات جمالٍ: مُغريات للزنا، ومع هذا قال: إنِّي أخافُ الله، وتَرَكها، فهذا قَدّمَ مخافةَ اللهِ على ما تُحِبُّهُ نفسُهُ، وما تهواه نفسُهُ، فحَصَل أنَّه يكون في ظِلِّ اللهِ يوم القيامة.

وأيضـًا في قصة الثلاثة الذي آووا إلى الغار:

فعن أبي عبدالرحمن عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**انْطَلَقَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمُ الْمبِيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فانْحَدَرَتْ صَخْرةٌ مِنَ الْجبلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمْ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلاَّ أَنْ تَدْعُوا الله تعالى بصالح أَعْمَالكُمْ قَالَ رجلٌ مِنهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوانِ شَيْخَانِ كَبِيرانِ، وكُنْتُ لاَ أَغبِقُ قبْلهَما أَهْلاً وَلا مالاً فنأَى بِي طَلَبُ الشَّجرِ يَوْمـًا فَلمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحَلبْت لَهُمَا غبُوقَهمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِميْنِ، فَكَرِهْت أَنْ أُوقظَهمَا وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدِى أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُما حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ وَالصِّبْيَةُ يَتَضاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمي فَاسْتَيْقظَا فَشَربَا غَبُوقَهُمَا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَة، فانْفَرَجَتْ شَيْئـًا لا يَسْتَطيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهُ.**

قَالَ الآخر: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانتْ لِيَ ابْنَةُ عمٍّ كانتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ وفي رواية: كُنْتُ أُحِبُّهَا كَأَشد مَا يُحبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءِ، فَأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّى حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا ففَعلَت، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا».

وفي رواية: «فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْليْهَا، قَالتْ: اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَفُضَّ الْخاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ، فانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِليَّ وَتركْتُ الذَّهَبَ الَّذي أَعْطَيتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعلتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فانفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا.

وقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجرَاءَ وَأَعْطَيْتُهمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذي لَّه وَذَهبَ فثمَّرت أجْرَهُ حَتَّى كثرت منه الأموال فجائني بَعدَ حِينٍ فَقالَ يَا عبدَ اللهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى منْ أَجْرِكَ: مِنَ الإِبلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَم وَالرَّقِيق فقالَ: يا عَبْدَ اللهِ لا تَسْتهْزيْ بي، فَقُلْتُ: لاَ أَسْتَهْزيُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فاسْتاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْه شَيْئًا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فخرَجُوا يَمْشُونَ»[(١)] متفق عليه.

---

(١) البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (١٠٠).

ففي هذا الحديث: بيان خوف الرجل من الله تعالى حينما خوفته المرأة بالله تعالى من ارتكاب معصية الزنا. فآثر خوف الله تعالى على ما تشتهيه نفسه وتطلبها. فكانت النتيجة رضا الله تعالى عنه ففرجت عنهم الصخرة. فثمرات الخوف من الله تعالى عظيمة ولها آثارها الطيبة في الدنيا والآخرة.

المسألة السادسة: أن من قدم رضا الله تعالى على رضا الناس. يكون متأسياً بالأنبياء والمرسلين وعباد الله تعالى المصطفين الأخيار.

فالأنبياء والمرسلين قدموا محبة الله تعالى على جميع المحاب، وصبروا لأجل ذلك، وتحملوا المصاعب والشدائد والآلام الجسدية والنفسية.

نبي الله تعالى إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ دعا قومه ولم يبالي بما خططوا له حتى أنهم ألقوه في النار فأنجاه الله تعالى منها وجعلها برداً وسلاماً. ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [العنكبوت: ٢٤].

وقال تعالى في حق بني إسرائيل واعتدائهم على الأنبياء بالقتل والتكذيب: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة: ٨٧].

ونبينا وحبيبنا ﷺ تعرض لأقسى الشدائد والمحن من قومه من الأذى الجسدي والمعنوي وضعوا سلا الجزور بين كتفيه الشريفتين حتى جاءت ابنته فاطمة رضوان ربي عليها فطرحتها عنه، وبالكلام فقالوا عنه: ساحر، كاهن، مجنون.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٧- ٩٩].

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: وإنا لنعلم يا محمد أنك يحصل لك من أذاهم لك انقباض وضيق صدر، فلا يهيدنك ذلك، ولا يثنينك عن إبلاغك رسالة الله، وتوكل على الله فإنه كافيك وناصرك عليهم، فاشتغل بذكر الله وتحميده وتسبيحه وعبادته التي هي الصلاة». انتهى.

وسحرة فرعون بأن كانوا في الصباح كفار فجرة أمسوا شهداء بررة؛ لما عرفوا الحق وتبين لهم أن موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رمى العصا حقيقةً، فأصبحت بقدرة الله تعالى حيةً تسعى. آمنوا بالله تعالى، وهددهم فرعون بالقتل والتعذيب؛ لكنهم طلبوا رضا الله تعالى على رضا فرعون ومن معه.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ

أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ٧١﴾ [طه: ٧١]، فكان جوابهم له جواب المؤمنين الصادقين المتوكلين على رب العالمين ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢﴾ [طه: ٧٢].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كما في «البداية والنهاية» لابن كثير: «كَانُوا أَوَّلَ النَّهَارِ كَفَرَةً سَحَرَةً وَأَصْبَحُوا آخِرَ النَّهَارِ شُهَدَاءَ بَرَرَةً».

ويجب على كل مسلم ومسلمة الاقتداء والتأسي برسول الله ﷺ؛ فالاقتداء أساس الاهتداء، قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب:٢١]، قال ابن كثير: «هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أُمِرَ الناسُ بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عَزَّوَجَلَّ»(١).

قال ابن حزمٍ: «مَنْ أراد خيرَ الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها،

(١) «تفسير القرآن العظيم».

فليقتدِ بمحمد رسول الله ﷺ ، وليستعمل أخلاقه، وسيره ما أمكنه، أعاننا الله على الاتساء به بمَنِّه، آمين»[١].

ومن أعظم الأمور التي ينبغي للمسلم أخذ حسن التأسي بالنبي ﷺ هي سيرته ﷺ. فقراءة سيرته والتأمل فيها لها الأثر البالغ في حسن التأسي به ﷺ. اللهم اجعلنا ممن تأسى بنبيك ﷺ.

المسألة السابعة: أنه من التمس رضا الله تعالى يكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وذلك أنه من أطاع الرسول ﷺ فقد أطاع الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾ [النساء: ٨٠]، والله تعالى سيرحمه ويكرمه بأن يجعله مرافقًا لنبينا ﷺ والأنبياء والشهداء والصالحين، ونبينا ﷺ أمرنا في هذا الحديث بطلب رضا الله تعالى والسعي فيه ولو سخط علينا الناس.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء: ٦٩].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي هم معهم في دارٍ واحدةٍ، ونعيمٍ واحدٍ،

(١) «الأخلاق والسير» لابن حزم (ص٩١).

يستمتعون برؤيتهم والحضور معهم، لا أنهم يساوونهم في الدرجة، فإنهم يتفاوتون، وكلُّ مَن فيها قد رُزِق الرِّضا بحاله»[١]. انتهى.

وقال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المعيَّةُ معيَّةُ المنزلة في الجنَّةِ، وإِن كانت الدرجات متفاوتة»[٢]. انتهى.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يحبك الله إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهرًا وباطنًا، وصدَّقته خبرًا، وأطعته أمرًا، وأجبته دعوةً، وآثرته طوعًا، وفنيت عن حكم غيره بحكمه، وعن محبة غيره من الخلق بمحبته، وعن طاعة غيره بطاعته، وإن لم يكن ذلك فلا تتعنَّ، وارجع من حيث شئت، فالتمس نوراً فلست على شيء»[٣].

ولطاعة الله وطاعة رسوله ثمرات عظيمة للمسلم، فأول ذلك أن طاعة الله وطاعة رسوله علامة الإيمان: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١﴾ [الأنفال: ١].

ومنها: أن طاعة الله وطاعة رسوله سببٌ في دخول الجنة، قال

---

(١) «تفسير القرطبي» (٥/ ٢٧٢).

(٢) «التحرير والتنوير» (٥/ ١١٦).

(٣) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٧).

جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣﴾ [النساء: ١٣].

وطاعة الله وطاعة رسوله تجعل العبد مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء: ٦٩].

طاعة الله وطاعة رسوله فيها الفوز والفلاح: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٥٢﴾ [النور: ٥٢].

وطاعة الله ورسوله سببٌ لرحمة الله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾ [آل عمران: ١٣٢].

طاعة الله وطاعة رسوله سببٌ للقوة والثبات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٦].

وطاعة الله وسوله سببٌ لهداية: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ [النور: ٥٤]، وسببٌ لقبول العمل؛ فإنَّ الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ

﴿ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [محمد: ٣٣]، فطاعة ورسوله سببٌ لقبول الأعمال بتوفيق الله وفضله(١).

وقال الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي لأهل العلم والعقل إذا سمعوا قائلا يقول: قال رسول الله ﷺ في شيء قد ثبت عند العلماء، فعارض إنسان جاهل فقال: لا أقبل إلا ما كان في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، قيل له: أنت رجل سوء وأنت ممن حذرناك النبي ﷺ وحذرنا منك العلماء، وقيل له: يا جاهل: إن الله عَزَّوَجَلَّ أنزل فرائضه جملة، وقد أمر نبيه ﷺ أن يبين للناس ما أنزل إليه، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤]، فأقام الله عَزَّوَجَلَّ نبيه ﷺ مقام البيان عنه، وأمر الخلق بطاعته، ونهاهم عن معصيته، وأمرهم بالانتهاء عما نهاهم عنه، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾» [الحشر: ٧](٢).

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته،

---

(١) «من ثمار طاعة الله تعالى ورسوله»؛ خطبة جمعة لسماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ.

(٢) «فتاوى اللجنة الدائمة» (٦٨/ ٢٤١).

وقرن طاعته بطاعته، ووعد على ذلك بجزيل الثواب، وأوعد على مخالفته بسوء العقاب، وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه، قال المفسرون والأئمة: طاعة الرسول في التزام سنته، والتسليم لما جاء به، وقالوا: ما أرسل الله من رسول إلا فرض طاعته على من أرسل إليه، وقالوا: من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه»[(١)].

ويقول العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله وأعاد الفعل إعلاما بأن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقا سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه أوتي الكتاب ومثله معه، ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالا، بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول، إيذانا بأنهم إنما يطاعون تبعا لطاعة الرسول»[(٢)].

---

(١) «فتاوى اللجنة الدائمة» (٦٨/ ٢٤١).

(٢) «فتاوى اللجنة الدائمة» (٦٨/ ٢٤١).

اللهم اجعلنا من أتباع نبيك ﷺ وارزقنا شربة من حوضه لا نظمأ بعدها أبداً يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام.

المسألة الثامنة: حصول القوة في الحق لمن التمس رضا الله تعالى القوي العزيز. فمن التمس رضا الله تعالى يكون مؤمناً قوياً معتزٌ بإيمانه. ومن طلب رضا الناس فإنه يكون مؤمناً ضعيفاً التمس رضا ضعيف مثله.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[(١)].

يقول الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «المؤمن القوي الذي يقوى على الأمر والنهي ويجاهد في سبيل الله أفضل من المؤمن الضعيف وفي كل خير وفي كل منهما خير، في سبيل المؤمنين، لكن القوي الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر، المجاهد في سبيل الله، المعلم الداعي إلى الله أفضل من سواه من المؤمنين دون ذلك»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) «شرح كتاب التوحيد» (٥٧- باب ما جاء في «لو».

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمراد بالقوة هنا: عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقدامًا على العدو في الجهاد، وأسرع خروجًا إليه وذهابًا في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلبًا لها ومحافظة عليها، ونحو ذلك»[(١)]. انتهى.

وقال محمد بن عبدالهادي السندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «المؤمن القوي» أي: على أعمال البر ومشاق الطاعة، والصبور على تحمل ما يصيبه من البلاء، والمتيقظ في الأمور، المهتدي إلى التدبير والمصلحة بالنظر إلى الأسباب واستعمال الفكر في العاقبة»[(٢)]. انتهى.

وسئل الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالى-: «ما مدى صحة الحديث القائل: «المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»؟ وإن كان صحيحًا فما معناه؟ وفي أي شيء تكون القوة؟

---

(١) «شرح مسلم» (١٦/ ٢١٥).

(٢) «حاشية السندي على ابن ماجه» حديث رقم (٧٦).

فأجاب: «الحديث صحيح، رواه الإمام مسلم في «صحيحه»، ومعناه: أن المؤمن القوي في إيمانه، والقوي في بدنه وعمله: خيرٌ من المؤمن الضعيف في إيمانه أو الضعيف في بدنه وعمله؛ لأن المؤمن القوي يُنتج ويَعمل للمسلمين وينتفع المسلمون بقوته البدنية وبقوته الإيمانية وبقوته العملية، ينتفعون من ذلك نفعاً عظيماً في الجهاد في سبيل الله، وفي تحقيق مصالح المسلمين، وفي الدفاع عن الإسلام والمسلمين وإذلال الأعداء والوقوف في وجوههم، وهذا ما لا يملكه المؤمن الضعيف، فمن هذا الوجه كان المؤمن القوي خيراً من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، كما يقول النبي ﷺ، فالإيمان كله خير، المؤمن الضعيف فيه خير، ولكن المؤمن القوي أكثر خيراً منه، لنفسه ولدينه ولإخوانه المسلمين، فهذا فيه الحث على القوة، ودين الإسلام هو دين القوة، ودين العزة، ودين الرفعة، دائماً وأبداً يُطلب من المسلمين القوة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩]، فالقوة مطلوبة في الإسلام:

القوة في الإيمان والعقيدة، والقوة في العمل، والقوة في الأبدان؛ لأن هذا ينتج خيرًا للمسلمين»[1]. انتهى.

فيا لها من خصلة عظيمة فالقوة في الحق وفي تطبيق شرع الله تعالى وامتثال أوامر الله تعالى ورسوله ﷺ واجتناب ما نهى عنه الله تعالى ورسوله فهي السعادة والنجاة والفلاح في الدنيا والآخرة.

المسألة التاسعة: عبادة التوكل على الله تعالى لمن طلب رضا الله تعالى. فهو أي الذي التمس رضا الله تعالى وحده لا شريك له. قد فوض أمره لله تعالى وتوكل عليه وهذه عبادة عظيمة جليلة.

والتوكل على الله تعالى عبادة الصادقين، وسبيل المخلصين، أمر الله تعالى به أنبياءه المرسلين، وأولياءه المؤمنين، قال رب العالمين: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠]، وأمر به المؤمنين: فقد قال الله تعالى في سبعة مواضع من القرآن: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥١].

---

(١) «المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان» (٥/ ٣٨٠-٣٨١).

فما هو التوكل؟ التوكل في اللغة: الاعتماد على الغير في أمر ما، واصطلاحا: صدق اعتماد القلب على اللّه تعالى في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة[١].

وقال الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوكل هو الثقة بما عند اللّه، واليأس عما في أيدي الناس»[٢].

وشروط التوكل أمرين الاعتماد على الله تعالى وأنه هو مسبب الأسباب، قال ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوكل يجمع الأمرين، التوكل يجمع شيئين:

أحدهما: الاعتماد على الله والإيمان بأنه مسبب الأسباب، وأن قدره نافذ، وأنه قدر الأمور وأحصاها وكتبها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الشيء الثاني: تعاطي الأسباب، فليس من التوكل تعطيل الأسباب، بل من التوكل الأخذ بالأسباب والعمل بالأسباب، ومن عطلها فقد خالف شرع الله وقدره، الله أمر بالأسباب وحث عليها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأمر رسوله ﷺ بذلك، فلا يجوز للمؤمن أن يعطل الأسباب، بل لا يكون متوكلًا على الحقيقة إلا بتعاطي الأسباب، ولهذا شرع النكاح

---

(١) «العلوم والحكم» لابن رجب ص(٤٠٩).

(٢) «التعريفات» (٧٤).

لحصول الولد وأمر بالجماع، فلو قال أحدٌ من الناس: أنا لا أتزوج وأنتظر ولدًا من دون زواج لعد من المجانين، ليس هذا من أمر العقلاء، وكذلك لا يجلس في البيت أو في المسجد يتحرى الصدقات ويتحرى الأرزاق تأتيه، بل يجب عليه أن يسعى ويعمل، ويجتهد في طلب الرزق الحلال.

ومريم رحمة الله عليها لم تدع الأسباب، ومن قال ذلك؟ فقد قال الله لها: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾ [مريم: ٢٥]، فهزت النخلة وتعاطت الأسباب حتى وقع الرطب، فليس من عملها ترك الأسباب، ووجود الرزق عندها وكون الله أكرمها بأن أتاح لها بعض الأرزاق وأكرمها ببعض الأرزاق، لا يدل على أنها معطلة للأسباب، بل هي تتعبد وتأخذ بالأسباب وتعمل بالأسباب، وإذا ساق الله لبعض أوليائه من أهل الإيمان شيئًا من الكرامات فهذا من فضله، لكن لا يدل على تعطيل الأسباب، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن**»، قال الله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾» [الفاتحة: ٥][(١)].

(١) «مجموع فتاوى الشيخ ابن باز» (٤/ ٤٢٧-٤٢٨).

فاللهم اجعلنا من عبادك المتوكلين عليك وحدك لا شريك لك يا رب العالمين.

المسألة العاشرة: عبادة المحبة لله تعالى، فإن محبة الله تعالى عبادة جليلة، فمن اتبع رضا الله تعالى وآثره على غيره من المخلوقين فإن ذلك يثمر محبة الله تعالى، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وفي «صحيح البخاري» من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان من كان اللّه ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن أحب عبدا لا يحبه إلا للّه ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه اللّه كما يكره أن يلقى في النار**» فمحبة الله يذوق بها العبد حلاوة الإيمان.

معنى المحبَّة لغةً:

المحبة: «الحبُّ، وهو نقيضُ البغْضِ. وأصل هذه المادة يدلُّ على اللُّزوم وَالثَّبات، واشتقاقه من أَحَبَّه إذا لزمه، تقول: أَحبَبْتُ الشَّيْء فَأَنا مُحِبٌّ وَهو مُحَبٌّ»(١).

---

(١) «لسان العرب» لابن منظور.

معنى المحبَّة اصطلاحًا:

المحبَّة: «الميل إِلَى الشَّيْء السار»[(١)].

وقال الراغب: «المحبَّة: ميل النفس إلى ما تراه وتظنه خيرًا»[(٢)].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم: ٩٦].

وقال عليُّ بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾. قال: حُبًّا[(٣)].

يصف ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ المحبة في كتابه «مدارج السالكين» عند حديثه عن منزلة المحبة قائلًا: «المحبة هي المنزلة التي تنافَس فيها المتنافسون، وعليها تفانى المحبُّون، وبروح نَسيمِها تروَّح العابدون؛ فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقُرَّة العيون، وهي الحياة التي مَن حُرِمها فهو في جملة الأموات، والفوز الذي مَن فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عُدِمه حلَّت بقلبه جميعُ الأسقام، واللذَّة

---

(١) «المعجم الوسيط».

(٢) «الذريعة إلى مكارم الشريعة» (ص٢٥٦).

(٣) «تفسير الطبري».

التي مَن لم يظفَر بها فعيشُه كله هموم وآلام...»[١].

وذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الأسباب الجالبة لمحبة الله لعبده ومحبة العبد لربه عشرة:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر لمعانيه وما أريد به.

الثاني: التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض كما في الحديث القدسي «**وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**»[٢].

الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال فنصيبه من المحبة على قدر هذا.

الرابع: إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة وميادينها.

السادس: مشاهدة بره وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة.

السابع: وهو أعجبها انكسار القلب بين يديه.

---

(١) «تهذيب مدارج السالكين» (ص٥٠)، ط. المكتبة القيمة، هذَّبه: عبدالمنعم صالح العلي.

(٢) رواه البخاري (٦٥٠٢).

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي آخر الليل وتلاوة كتابه ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطايب ثمرات كلامهم، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيدا لحالك ومنفعة لغيرك.

العاشر: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عَزَّوَجَلَّ، فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب»[1].اهـ.

والمحبة أقسام:

الشرعية وهي أقسام:

١- محبة الله وحكمها أنها من أوجب الواجبات وذلك لأن محبته سبحانه هي أصل دين الإسلام فبكمالها يكمل الإيمان. وبنقصها ينقص التوحيد ودليل ذلك قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة ١٦٥]، وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ١٧-١٨).

مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ [التوبة: ٢٤]. وغيرها من الأدلة في القرآن والسنة. وهي تتمثل في إيثار ما أحبه الله من عبده وأراده على ما يحبه العبد ويريده، فيحب ما أحب الله ويبغض ما يبغضه الله، ويوالي ويعادي فيه، ويلتزم بشريعته والأسباب الجالبة لها كثيرة.

٢- محبة الرسول ﷺ وهي أيضـًا واجبة من واجبات الدين، بل لا يحصل كمال الإيمان حتى يحب المرء رسول الله ﷺ أكثر من نفسه كما في الحديث. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(١).

وحديث عبدالله بن هشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الآنَ يَا عُمَرُ**»(٢).

---

(١) رواه مسلم (٤٤).

(٢) رواه البخاري - «فتح» (٦٦٣٢).

وهذه المحبّة تابعة لمحبة الله تعالى، وتتمثل في متابعته ﷺ، وتقديم قوله على قول غيره.

٣- محبة الأنبياء والمؤمنين وحكمها واجبة؛ لأن محبة الله تعالى تستلزم محبة أهل طاعته وهؤلاء هم الأنبياء والصالحون، ودليله قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**من أحب في الله**»، أي: أحب أهل الإيمان بالله وطاعته من أجل ذلك، ولا يكتمل الإيمان أيضاً إلا بذلك، ولو كثرت صلاة الشخص وصيامه، كما قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لقد رأيتنا في عهد رسول الله ﷺ، وما منا أحد يرى أنه أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم».

المحبة المحرمة:

منها ما هو شرك: وهو أن يحب من دون الله شيئاً كما يحب الله تعالى فهو قد اتخذ ندًّا، وهذا شرك المحبة وأكثر أهل الأرض قد اتخذوا أندادًا في الحب والتعظيم.

ومنها ما هو محرّم دون الشرك: وذلك بأن يحب أهله أو ماله أو عشيرته وتجارته ومسكنه فيؤثرها أو بعضها على فعل ما أوجبه الله عليه من الأعمال كالهجرة والجهاد، ونحو ذلك، ودليله قوله تعالى: ﴿إِن

كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾ [التوبة: ٢٤].

فهذا الذي مضى هو المحبة الخاصة بأقسامها.

أما المحبة المشتركة فهي ثلاثة أنواع:

أحدها: طبيعية كمحبة الجائع للطعام، والظمآن للماء وهذه لا تستلزم التعظيم فهي مباحة.

الثاني: محبة رحمة وشفقة كمحبة الوالد لولده الطفل وهذه أيضاً لا تستلزم التعظيم ولا إشكال فيها.

الثالث: محبة أنس وألف كمحبة المشتركين في صناعة أو علم أو مرافقة أو تجارة أو سفر لبعضهم بعضاً فهذه الأنواع التي تصلح للخلق بعضهم بعضاً وكمحبة الأخوة بعضهم لبعض ووجودها فيهم لا يكون شركاً في محبة الله تعالى[1].

المسألة الحادية عشرة: عبادة الصبر. فإنه من التمس رضا الله

---

(١) من كتاب «تيسير العزيز الحميد»، باب ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا﴾ [البقرة: ١٦٥]. ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً.

تعالى وآثره على غيره من المخلوقين. فسيجد من يكيد له وسيجد من يتعرض له بالأذى المعنوي والحسي، فعليه بالصبر، قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل: ١٢٧- ١٢٨].

وهكذا كل من اتبع سبيل الأنبياء والمرسلين والتمس رضا الله تعالى وتوكل عليه وتمسك بالتوحيد ونبذ الشرك، سيجد من يقف في وجهه ويعاديه ويؤذيه وهذا ابتلاء من الله تعالى لعباده المؤمنين الصابرين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت: ٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: الذين صدقوا في دعواهم الإيمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه».

معنى الصبر وأقسامه:

الصبر في اللغة: الحبس. وفي القرآن صبر جميل، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا معه» وقال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الذي لا جزع معه»[1].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٨٩).

والصبر على ثلاثة أقسام:

صبر على الطاعات. صبر عن المحرمات. صبر على الابتلاءات. وبهذا يمكن أن يقال في تعريف الصبر في الاصطلاح: الثبات على أحكام الكتاب والسنة، وحبس النفس عن الجزع والسخط.

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنَّ أفضل عيش أدركناه بالصبر، ولو أنَّ الصبر كان من الرجال كان كريمًا»(١).

وجاء رجل إلى يونس بن عبيد فشكا إليه ضيقًا من حاله ومعاشه، واغتمامًا بذلك، فقال: «أيسرك ببصرك مئة ألف؟ قال: لا. قال: فبسمعك؟ قال: لا. قال: فبلسانك؟ قال: لا. قال: فبعقلك؟ قال: لا... في خلال. وذكَّره نعم الله عليه، ثم قال يونس: أرى لك مئين ألوفًا وأنت تشكو الحاجة؟!»(٢).

وقال أبو حاتم: «الصبر على ضروب ثلاثة: فالصبر عن المعاصي، والصبر على الطاعات، والصبر عند الشدائد المصيبات، فأفضلها الصبر عن المعاصي، فالعاقل يدبر أحواله بالتثبت عند الأحوال

---

(١) «الصبر والثواب عليه» لابن أبي الدنيا (ص٢٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي.

الثلاثة التي ذكرناها بلزوم الصبر على المراتب التي وصفناها قبل، حتى يرتقي بها إلى درجة الرضا عن الله جَلَّوَعَلَا في حال العسر واليسر معًا»[(١)].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**الصبر على ثلاثة أنواع:**

١- صبٌر بالله، ٢- وصبر لله، ٣- وصبرٌ مع الله.

الأول: الاستعانةَ به، ورؤيته أنَّهُ هو المصَبِّر، وأن صبر العبد بربه لا بنفسه، كما قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل: ١٢٧]، يعني إن لم يصبرك هو لم تصبر.

والثاني: الصبر لله: وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبةُ الله، وإرادة وجهه، والتقرب إليه، لا لإظهار قوة النفس، والاستحماد إلى الخلق، وغير ذلك من الأعراض.

والثالث: الصبر مع الله، وهو دوران العبد مع مُراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية. صابرًا نفسه معها، سائرًا بسيرها، مقيمًا بإقامتها، يتوجه معها أين توجهت ركائبها، وينزلُ معها أين استَقَلَّت مضاربها.

---

(١) «روضة العقلاء» لابن حبان البستي (ص١٦٢).

فهذا معنى كونه صابرًا مع الله، أي قد جعلَ نفسهُ وقفًا على أوامره ومحابه، وهو أشدُّ أنواع الصبر وأصعبها، وهو صبرُ الصديقين»[(١)].اهـ.

يذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأسباب المعينة على الصبر على البلاء... «فهذه الأسباب ونحوها تثمرُ الصبرَ على البلاء؛ فإن قويت أثمرت الرضا والشكر؛ فنسأل الله أن يسترنا بعافيته، ولا يفضحنا بابتلائه، بِمَنِّهِ وكرمه».

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طريق الهجرتين»: «والصبر على البلاء ينشأ من أسباب عديدة:

أحدها: شهودُ جزائِها وثوابها.

الثاني: شهودُ تكفيرها للسيئات ومَحْوِهَا لها.

الثالث: شهودُ القَدَرِ السابق الجاري بها وأنها مقدَّرةٌ في أمِّ الكتاب قبل أن يُخْلَقَ؛ فلابدَّ منها؛ فجزَعُه لا يزيده إلا بلاء.

الرابع: شهودُه حقَّ الله عليه في تلك البلوى، وواجبَه فيها الصبر بلا خلاف بين الأمة، أو الصبر والرضا على أحد القولين؛ فهو مأمور بأداء حقِّ الله وعبوديته عليه في تلك البلوى؛ فلا بد له منه وإلا تضاعفت عليه.

---

(١) «مدارج السالكين» (٢ / ١٥٧).

الخامس: شهود ترتّبها عليه بذنبه؛ كما قالَ الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى:٣٠]، فهذا عامٌّ في كل مصيبة دقيقةٍ وجليلة؛ فيشْغَلُه شهودَ هذا السببِ بالاستغفارِ الذي هو أعظمُ الأسباب في دفع تلك المصيبة؛ قال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رُفع بلاء إلا بتوبة».

السادس: أن يعلمَ أن الله قد ارتضاها له واختارها وقسَمَها، وأنَّ العبودية تقتضي رضاه بما رَضِيَ له به سيده ومولاه؛ فإن لم يوفِ قدْرَ المقَامِ حقَّه فهو لضَعْفِهِ؛ فلينزلْ إلى مقامِ الصبر عليها؛ فإن نزلَ عنه نزلَ إلى مقامِ الظلم وتعدِّي الحقّ.

السابع: أن يعلمَ أن هذه المصيبة هي داءِ نافع ساقَه إليه الطبيبُ العليم بمصلحته الرحيم به؛ فليصبرْ على تجرُّعِه ولا يتقيَّأه بتسخُّطِه وشكْوَاه فيذهبُ نفْعُه باطلًا.

الثامن: أن يعلم أن في عُقْبَى هذا الدواء من الشفاء والعافية والصحة وزوال الألم ما لم تحصل بدونه؛ فإذا طالعتْ نفسُه كراهةَ هذا الدواءِ ومرارَتَه؛ فلينظرْ إلى عاقبته وحُسْنِ تأثيره، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا

تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦]، وقال الله تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: ١٩]، وفي مثل هذا القائل:

لَعَلّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ فرُبّمَا صَحّتِ الأجْسامُ بالعِلَلِ

التاسع: أن يعلمَ أن المصيبةَ ما جاءَتْ لتهلِكَه وتقتُلَه، وإنما جاءت لِتَمْتَحِنَ صبْرَه وتبْتَلِيَه؛ فيتبيّن حينئذ هل يصلح لاستخدامه؟ وجعْلِه من أوليائه وحزبه أم لا؟ فإن ثبت اصطفاه واجتباه، وخلع عليه خِلَعَ الإكرام وألبسه ملابسَ الفضل، وجعل أولياءه وحزبه خدمًا له وعونًا له، وإن انقلب على وجهه ونكص على عقبيه طُرِدَ وصُفع قفاه وأُقِصي، وتضاعفت عليه المصيبة وهو لا يشعر في الحال بتضاعفها وزيادتها، ولكن سيعلمُ بعد ذلك بأنَّ المصيبةَ في حقِّه صارت مصائب، كما يعلمُ الصابرُ أنَّ المصيبةَ في حقِّهِ صارَتْ نِعَمًا عديدة، وما بين هاتين المنزلتين المتباينتين إلا صبرُ ساعة، وتشجيعُ القلب في تلك الساعة، والمصيبة لا بدَّ أن تقلع عن هذا وهذا، ولكن تقلع عن هذا بأنواع الكرامات والخيرات، وعن الآخرِ بالحرمان والخذلان؛ لأن ذلك تقدير العزيز العليم، وفضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

العاشر: أن يعلم أن الله يربّي عبدَه على السراء والضراء والنعمة والبلاء؛ فيستخرج منه عبوديَّته في جميع الأحوال؛ فإن العبدَ على الحقيقة من قام بعبودية الله على اختلاف الأحوال، وأما عبدُ السرَّاء والعافيةِ الذي يعبد الله على حرفٍ؛ فإن أصابه خير اطمأنَّ به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه؛ فليس من عبيده الذين اختارهم لعبوديته؛ فلا ريب أنَّ الإيمان الذي يثبتُ على محلِّ الابتلاء والعافية هو الإيمان النافع وقت الحاجة، وأما إيمان العافية فلا يكاد يصحب العبد ويبلغه منازل المؤمنين، وإنما يصحبه إيمان يثبت على البلاء والعافية؛ فالابتلاء كِير العبد ومَحَكُّ إيمانه؛ فإما أن يخرج تِبْرا أحمر، وإما أن يخرج زغلًا محضًا، وإما أن يخرج فيه مادّتان ذهبية ونحاسية فلا يزال به البلاء حتى يخرج المادة النحاسية من ذهبه، ويبقى ذهبًا خالصًا؛ فلو علم العبد أن نعمة الله عليه في البلاء ليست بدون نعمة الله عليه في العافية لشغل قلبه بشكره ولسانه: «**اللهم أعني على ذكرك وشكر وحسن عبادتك**»، وكيف لا يشكر من قيَّض له ما يستخرج خبَثَه ونُحَاسَه، وصيَّرَه تِبْرًا خالصًا يصلح لمجاورته والنظر إليه في داره؟!

فهذه الأسباب ونحوها تثمرُ الصبرَ على البلاء؛ فإن قويت أثمرت

الرضا والشكر؛ فنسأل الله أن يسترنا بعافيته، ولا يفضحنا بابتلائه، بمنّه وكرمه»[١]. انتهى.

المسألة الثانية عشرة: أن من طلب رضا الله تعالى وسعى في ذلك مخلصاً لله تعالى فقد امتثل لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ. والمؤمن الممتثل لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ من أولياء الله تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون. قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم ذكر وصفهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وصدقوا إيمانهم، باستعمال التقوى، بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي».

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحوط أولياءه برعايته ويحميهم وينصرهم. ومن عاداهم فإن الله تعالى يحاربه ومن حاربه الله تعالى خسر خسراناً مبينا.

روى الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى قال: «**من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما**

---

(١) «طريق الهجرتين»، لابن قيم الجوزية، (ص٤١٥-٤١٧)، الناشر: دار ابن القيم، الدمام، ط٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه».

قال ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لهذا الحديث العظيم: «هذا الحديث العظيم يقول النبي ﷺ فيه عن ربه جَلَّ وَعَلَا من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، ومعنى آذنته بالحرب يعني: أعلمته أني محارب له؛ لأنه يحارب أوليائي فأنا أحاربه، وأنا خصمه، وويل لمن كان الله تعالى خصمه، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله تعالى بالمحاربة، والله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء، الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يدعوا، لهوانهم على الناس، ولم يُعرفوا؛ لأنهم ليسوا بأصحاب سمعة ولا شهرة، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة أنقياء أتقياء؛ لأن قلوبهم منيرة بذكر الله تعالى، فإذا دخلوا في الفتن خرجوا منها أحسن من الذهب الأحمر، أرأيت الخام إذا أريد استخلاص الذهب منه فإنه يُدخل في الفرن ويُحمى عليه، وينفخ لتتطاير هذه الشوائب وما غطاه من الخلائط، ثم يصبح ذهبًا

أحمر نقيـًا لا شيء فيه»[١].

قال شيخ الإسلام: «وهذا لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه، فأحبوا ما يحبُّ، وأبغضوا ما يبغض، ورضوا بما يرضى، وسخطوا بما يسخط، وأمروا بما يأمر ونهوا عما نهى، وأعطوا لمن يحب أن يعطى، ومنعوا من يحب أن يمنع»[٢].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضـًا: «فَإِذَا كان وليُّ الله هو الموافقَ المتابع له فيما يحبه ويرضاه ويبغضه ويسخطه، ويأمر به وينهى عنه، كان المعادي لوليه معاديًا له؛ كما قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]، فمن عادى أولياء الله فقد عاداه، ومن عاداه فقد حاربه: فلهذا قال: «**ومن عادى لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة**»[٣].

اللهم اجعلنا من عبادك المتقين، ونطلبك يا الله رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار.

---

(١) برنامج نور على الدرب الشريط رقم (١١٠)، «مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز» (٣٦٢/ ١٠).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٦٠/ ١١).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٦١/ ١١).

المسألة الثالثة عشر: من ثمرات طلب رضا الله تعالى حصول التثبيت منه تعالى لعباده المؤمنين من الأنبياء والمرسلين والصالحين.

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين، أي: الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها.

وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين، للجواب الصحيح، إذا قيل للميت «**من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟**» هداهم للجواب الصحيح بأن يقول المؤمن: «**الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيي**». انتهى

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «التثبيت هو التثبُّت؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ [النساء: ٦٦] ... والتثبت: هو القوة والمكنة، وضده الزلزلة والرجفة»[(١)].

(١) «مجموع الفتاوى» (٩٤/ ١٤).

وقال ابن القيم: «الخلق كلهم قسمان: موفَّق بالتثبيت، ومخذول بترك التثبيت، ومادة التثبيت وأصله ومَنشؤه من القول الثابت وفعل ما أُمر به العبد، فبهما يثبِّت الله عبده، فكل من كان أثبت قولاً وأحسن فعلاً، كان أعظم تثبيتًا؛ قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦﴾»[1].

وقال أبو جعفر الطبري: «من قول القائل: «ثَبَّتُّ فلانًا في هذا الأمر» - إذ صححت عزمَه، وحققته، وقويت فيه رأيه - «أثبته تثبيتًا»، كما قال ابن رواحة:

فَثَبَّتَ اللهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ تَثْبِيتَ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نُصِروا[2]

ومن صور التثبيت تثبيت الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ والصالحين ومن سار على نهجهم:

أولاً: تثبيت النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم وأرضاهم:

١- تثبيت رب العالمين لنبينا وحبيبنا وقدوتنا محمد ﷺ أفضل الخلق وأكملهم:

---

(١) «إعلام الموقعين» (١/ ١٧٧).

(٢) «تفسير الطبري» (٥٣١/ ٥).

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء: ٧٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخبر تعالى عن تأييد رسوله -صلوات الله عليه وسلامه- وتثبيته، وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار، وأنه تعالى هو المتولي أمره ونصره، وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه، بل هو وليه وحافظه وناصره ومؤيده ومظفره، ومظهر دينه على من عاداه وخالفه وناوأه، في مشارق الأرض ومغاربها، ﷺ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين».

٢- تثبيته عن طريق الإخبار بقصص الأنبياء السابقين؛ قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [هود:١٢٠ -١٢٢].

قال ابن كثير: «يقول تعالى: وكل أخبار نقصُّها عليك، من أنباء الرسل المتقدمين قبلك مع أممهم، وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين، وخذل أعداءه الكافرين - كل هذا مما نثبت به

فؤادك يا محمد؛ أي: قلبك، ليكون لك بمن مضى من إخوانك من المرسلين أُسْوةً».

وقال ابن الجوزي: «ومعنى تثبيت الفؤاد تسكين القلب هاهنا، ليس للشك، ولكن كلما كان البرهان والدلالة أكثر، كان القلب أثبت»(١).

٣- تثبيته على الدين وما كان عليه من الحق؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ [إبراهيم: ٤٧]، قال ابن عطية: «وقوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ﴾، تثبيت للنبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولغيره من أُمَّته، ولم يكن النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ممن يحسب مثل هذا، ولكن خرجت العبارة هكذا، والمراد بما فيها من الزجر مَن شارك النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في أنْ قصد تثبيته»(٢).

٤- تثبيته بالصبر وغيره وذلك من أجل تسلية قلبه وتسكينه وحفظه؛ قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [غافر: ٧٧]، قال ابن كثير: «أي:

(١) «زاد المسير» (٣/ ٣٩٣).

(٢) «المحرر الوجيز» (٤/ ١١٤).

اصبر على مُخالفتهم وعنادهم؛ فإن الله تعالى منجز لك ما وعدك من نصره إياك، وجعله العاقبة لك ولمن اتَّبعك في الدنيا والآخرة؛ ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم:٦٠]؛ أي: بل اثبت على ما بعثك الله به، فإنَّه الحق الذي لا مرية فيه، ولا تعدل عنه وليس فيما سواه هُدًى يتبع، بل الحق كله منحصر فيه»(١).

٥- تثبيت النبي ﷺ وصحابته وضي الله عنهم وأرضاهم في معركة بدر الكبرى:

والله تعالى يثبت الصحابة والنبي ﷺ يوم معركة بدر الكبرى، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ١٢].

وفي معالم التنزيل للبغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: قَوُّوا قلوبهم، قيل: إن ذلك التثبيت حضورهم معهم القتال ومعونتهم، أي: ثبِّتوهم بقتالكم معهم المشركين. وقال مقاتل: أي: بَشِّروهم بالنصر، وكان الملك يمشي أمام الصف في صورة الرجل، ويقول: أبشِروا فإن الله ناصركم.

(١) «تفسير ابن كثير».

﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾ [آل عمران: ١٥١]، قال عطاء: يُريد الخوف من أوليائي، ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ [الأنفال: ١٢]، قيل: هذا خطابٌ مع المؤمنين. وقيل: هذا خطابٌ مع الملائكة، وهو مُتَّصِلٌ بقوله: فثبِّتُوا الذين آمنوا، وقوله: فوق الأعناق، قال عكرمة: يعني الرؤوس لأنها فوق الأعناق».

ثانيًا: تثبيت الصالحين والمؤمنين:

قصة أصحاب الكهف وفيها الحكم البالغة والبرهان الساطع لمن طلب رضا الله تعالى بسخط الناس. فهؤلاء الفتية المؤمنين تمسكوا بدينهم ولم يطلبوا رضا الملك في بلادهم الذين طلب منهم اعتناق دين الوثنية والشرك بالله تعالى؛ بل فروا بدينهم فثبتهم الله تعالى وآواهم إلى الكهف.

قال تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ۝١٠ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ۝١١ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ۝١٢ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ۝١٣ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ

قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ [الكهف: ٩-١٤].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ أي: صبرناهم وثبتناهم، وجعلنا قلوبهم مطمئنة في تلك الحالة المزعجة، وهذا من لطفه تعالى بهم وبره، أن وفقهم للإيمان والهدى، والصبر والثبات، والطمأنينة.

قال ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أهل الكهف بيَّنهم الله في كتابه العظيم، والأقرب مثل ما قال جماعة من أهل العلم أنهم سبعة وثامنهم كلبهم، هذا هو الأقرب والأظهر، وهم أناس مؤمنون، فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدىً، وفارقوا قومهم من أجل الشرك والكفر، فلما توفاهم الله بعد ذلك بعدما ناموا المدة الطويلة توفاهم الله بعد ذلك على دينهم الحق، هؤلاء هم أهل الكهف كما بيَّن الله في كتابه فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى، وناموا النومة الطويلة بإذن الله، ثم ماتوا بعد ذلك»[1].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من ضمن الفوائد في تفسير هذه السورة العظيمة: «في هذه القصة، دليل على أن من فر بدينه من الفتن، سلمه الله منها. وأن من حرص على العافية عافاه الله ومن أوى إلى الله، آواه

(١) «نور على الدرب».

الله، وجعله هداية لغيره، ومن تحمل الذل في سبيله وابتغاء مرضاته، كان آخر أمره وعاقبته العز العظيم من حيث لا يحتسب ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ [آل عمران: ١٩٨]. وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨]، دلت الآية، على أن الذي ينبغي أن يطاع، ويكون إماما للناس، من امتلأ قلبه بمحبة الله، وفاض ذلك على لسانه، فلهج بذكر الله، واتبع مراضي ربه، فقدمها على هواه، فحفظ بذلك ما حفظ من وقته، وصلحت أحواله، واستقامت أفعاله». انتهى.

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخُلاصةُ التي تُستخلَصُ مِن قِصَّةِ أهلِ الكَهفِ هي: أنَّ كُلَّ مَنِ التجأَ إلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ فإنَّ اللهَ تعالى يحميه بأسبابٍ قد يُدرِكُها وقد لا يُدرِكُها، وهو مِصداقُ قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨]؛ فإنَّ مُدافعةَ اللهِ عن المؤمنينَ قد تكونُ بأسبابٍ معلومةٍ، وقد تكونُ بأسبابٍ مجهولةٍ لهم؛ فهذا يُرشِدُنا إلى أنْ نُحَقِّقَ الإيمانَ بالله عَزَّوَجَلَّ، والقيامَ بطاعتِه»[1].

(١) «فتاوى نور على الدرب» لابن عثيمين (٢/ ٢٢٩).

هذا ما تيسر جمعه من هذه المسائل العقدية المهمة المتعلقة بحديث «**منِ التمَسَ رِضا اللهِ بسخطِ النَّاسِ كفاهُ اللهُ مَؤونةَ النَّاسِ ومنِ التمسَ رضا النَّاسِ بسخطِ اللهِ وَكلَه اللهُ إلى النَّاسِ**».

فما كان فيه من صواب فمن الله وحده لا شريك له وما كان فيه من خطأ فمني والشيطان والله تعالى أسأله المغفرة والتوبة والإنابة. وأسأله تعالى أن يحيينا على التوحيد والسنة وأن يميتنا على التوحيد والسنة. ونسأله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

اللَّهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَالعمَل الَّذِي يُبَلِّغُني حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجْعل حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِن نَفسي، وأَهْلي، ومِن الماءِ البارِدِ.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾

[آل عمران: ٨].

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وحبيبنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه:

فوازبن لوفان الظفيري

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥

المسائل العقدية في حديث «من التمس رضا الله بسخط الناس» **٨**

المسألة الأولى: إثبات صفة الرضا والسخط لله عَزَّوَجَلَّ. ١٥

المسألة الثانية: الإيمان واليقين يَضُعف ويقوى، يقوى بالإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ بطاعة الله ويضُعف بمعصية الله ومخالفة أوامر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حتى ربما لا يبقى منه شيء. ٢٠

المسألةُ الثالثة: أن من أخلص لله تعالى في عبادة الخوف وترك الخوف من المخلوقين فإن الله تعالى يحوطه بحمايته ويحفظه من الشرور والآفات ويؤمنه مما يكره. ٣٠

المسألة الرابعة: أنواع الخوف..... ٣١

المسألة الخامسة: أن الخوف من الله تعالى سبب لرضا الرب عَزَّوَجَلَّ، وحصول الثواب وتفريج الكرب.. ..... ٣٦

المسألة السادسة: أن من قدم رضا الله تعالى على رضا الناس. يكون متأسيًا بالأنبياء والمرسلين وعباد الله تعالى المصطفين الأخيار. ٣٩

المسألة السابعة: أنه من التمس رضا الله تعالى يكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ٤٢

المسألة الثامنة: حصول القوة في الحق لمن التمس رضا الله تعالى القوي العزيز. فمن التمس رضا الله تعالى يكون مؤمنًا قويًا ٤٧

المسألة التاسعة: عبادة التوكل على الله تعالى لمن طلب رضا الله تعالى. فهو أي الذي التمس رضا الله تعالى وحده لا شريك له.. ..... ٥٠

المسألة العاشرة: عبادة المحبة لله تعالى، فإن محبة الله تعالى عبادة جليلة، فمن اتبع رضا الله تعالى وآثره على غيره من المخلوقين ٥٣

المسألة الحادية عشرة: عبادة الصبر. فإنه من التمس رضا الله تعالى وآثره على غيره من المخلوقين. فسيجد من يكيد له ٥٩

المسألة الثانية عشرة: أن من طلب رضا الله تعالى وسعى في ذلك مخلصًا لله تعالى فقد امتثل لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ..... ٦٧

المسألة الثالثة عشر: من ثمرات طلب رضا الله تعالى حصول التثبيت منه تعالى لعباده المؤمنين من الأنبياء والمرسلين والصالحين. ٧٠

فهرس الموضوعات ٧٩